الـمـوت والمصادفـة

هنالك طريقتان لتفسير الحقائق التي وصفت في الفصل الأول:

الأولى أن نعزوها لمجرد المصادفة، والثانية الأصعب وهي أن ننشئ فرضية لتفسيرها وهذه الظواهر غريبة جداً إذ إنَّه لا يبدو من السهل وضعها في أي إطار علمي ومع ذلك فنحن قد اخترنا الطريقة الثانية.

إن ما ندعوه عادة الحظ هو ما يعرف عند العلماء بالمصادفات وقد درس علماء النفس الذين يبحثون التخاطر (أي الشعور عن بعد) هذه المصادفات، فإن (كارل غوستاف جنج) وهو أبو علم النفس الغامض وأحد أولئك الذين حللوا الأشياء التي تقع خارج الإدراك الحسي والتجربة الفيزيائية، كتب في كتابه (تركيب النفس وديناميكيّتُها) يقول: لقد واجهتني ظواهر كثيرة من هذا النوع وعلمت كم هي هامة بالنسبة للتجربة الداخلية للكائنات البشرية وهي أصلاً مسائل لا يجرؤ الناس أن يتكلموا عنها خشية أن يتعرضوا لسخرية الآخرين وفضولهم. وكان هنالك رواد آخرون أوائل وأحدهم أحد علماء الحياة النمسويين وهو بول كميرير وأعظم عمل له (قانون التسلسل) نشره عام 1919 بعد أن قضى عقداً من السنين يستقصي ويبحث في (الفرص والعزم على الموت) ثم أتى بعده كتَّاب آخرون كتبوا في هذا الموضوع مثل (أرنست مالي) وكتابه (الاحتمال والتصميم) نشره عام 1938 وكتاب نظرية الاحتمال تأليف (وارنر ديفر) وكتاب جذور المصادفات تأليف آرثر كويستلر.

ولا يزال البحث العلمي حول المصادفات والاحتمال في مهده، ومع أن الإنسان كان مهتماً بكلا الموضوعين منذ آلاف السنين ويمكن أن نتقصَّى ذلك الاهتمام في علم التنجيم عند المصريين والبابليين القدماء الذين اكتشفوا لأول مرة التناسق المنتظم في حركات النجوم واعترفوا بوجود بعض العلاقات بين حركات النجوم وحياة الإنسان.

ومع أن اكتشافات المصريين والبابليين القدماء كانت هزيلة سطحية وغير دقيقة، إلا أن المصريين أحرزوا فضل تصوير أبراج النجوم لأول مرة وابتكار التقاويم الفلكية التي تحوي جداول تظهر موضع كل جرم سماوي في عدد من التواريخ في تتابع منتظم وكانوا يعتبرون أن النجم سيروس أو (سوذيس) كما كان يدعوه اليونان، هو الذي يعلن فيضان النيل عندما يظهر صباحاً في السماء. وفي أول الأمر نظر المصريون إلى شروق (سوذيس) كتدبير من تدابير الآلهة ولكن وبعد قرون كانوا يلاحظون أن فيضان النيل كان يأتي مباشرة بعد ظهور هذا النجم، وعندها عرف المصريون العلاقة والارتباط بين هذين الحادثين فقد شرحت ملاحظات تغير الفصول منذ زمن طويل مسائل المصادفات وقد استطاعت العلوم التقليدية القديمة الإجابة على بعض هذه الأسئلة بينما بقيت المسائل الأخرى حتى يومنا هذا لغزاً لا يمكن حله.

ففي عهد ما قبل التاريخ المسيحي مثلاً كان الناس قد عرفوا ظاهرة تكرار الأمواج وتواترها فقد أشار اسكايليس ويوروبيدس إلى الموجة الثلاثية وهذه الموجة يمكن ملاحظتها على شطآن المحيطات فضلاً عن شواطئ البحيرات العظمى فبعد عشر موجات ذات أطوال متساوية تقريباً تأتي الموجات الثلاث التالية بشكل أعلى من سابقتها ومع أنه ليس هنالك أي تفسير كامل لهذه الظاهرة نرى القليل من الناس يميلون لاعتبارها (مصادفة محضة) وذلك لأن علم الفيزياء لم يصل بعد إلى التفسير العلمي الصحيح.

المصادفات الرياضية:

إذا فحصنا المصادفات رياضياً فإنها تخسر كثيراً من عدد قابليتها للتنبؤ فإذا رمينا قطعة نقود إلى الأعلى فإنها إما أن تنزل (طرة) أو (نقش) ففرصة نزولها (طرة) هي

واحدة من اثنين وأما إذا حدثت رميتان فإنهما تؤديان إلى واحدة من أربع نتائج طرة ـ طرة ـ طرة، نقش، نقش، طرة، نقش ـ نقش، ولا يمكن أن تظهر مجموعات أخرى. وأما إذا رمينا القطعة ثلاث مرات فيصبح هنالك ثمانية احتمالات مختلفة طرة ـ طرة ـ طرة، طرة ـ نقش، طرة ـ نقش ـ طرة، طرة ـ نقش ـ نقش، نقش ـ طرة ـ طرة، نقش ـ نقش ـ طرة، نقش ـ نقش ـ نقش.

وفي كتاب (التناسق في العالم) يصف (كارل ماربي) أول وآخِرَها نتيجة للسلسلة وهي الثلاث رميات التي تأتي بشكل طرة أو نقش يصفها بأنها سلسلة مجردة والنتائج الفردية كسلسلة عادية وكلما كانت الرميات متقاربة كلما أصبحت أقرب إلى السلسلة المجردة ولكن هذه النتائج نادرة وغير محتملة.

إنَّ قطعة العملة يمكن أن تأتي طرة عشر مرات نظرياً وبالتالي فإذا عوضنا عن عدد الرميات بحرف (ن) أي إنّ رمية واحدة لقطعة العملة الواحدة تنتج علاقةً قيمتها 1 : 2 وعدد الاحتمالات يمكن أن يعبر عنه بالصيغة الرياضية 2 ن.

وإذا حدثت ثلاث رميات فإن هنالك 21 احتمالاً أو 8 حلول محتملة وإنَّ فرص نزول القطعة في الطرة 28 مرة هي حسب هذه الصيغة تكون 1 : 2^{28} أي 1 : 268435456 والعملية تصبح أكثر تعقيداً عندما يكون هنالك أكثر من احتمالين ويروي (وارن ويفير) حالة مماثلة حدثت في آذار عام 1950 في بياترس في نبراسكا إذ كان هناك تمرين لجوقة المرتلين في كنيسة قرية صغيرة كان مقرراً أن تبدأ في الساعة السابعة وعشرين دقيقة مساء، وكما حدث صدفة لم يكن أي واحد من أعضاء جوقة المرتلين قد حضر في الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين فالقس وهو مدير الجوقة لم يحضر لأنه كان ينتظر زوجته لتكوي رداء ابنته التي كانت ترتل أيضاً في الجوقة وكانت اثنتان من النساء المشتركات في الجوقة كل على حدة لم تستطيعا أن تسوقا سيّارتَيهما وهنالك فتاة أيضاً من أعضاء الجوقة لم تستطع أن تتم واجباتها المنزلية فلم تستطع الحضور وفتاتان أُخريان كانتا تستمعان إلى مسرحية من الراديو فوجدتاها مثيرة حتى إنهما نسيتا الموعد، وإحدى الأمهات كانت مضطرة أن توقظ

ابنتها مرتين فلم تستجب لها . وكل هذه أسباب بسيطة تضافرت لتفسير عدم تمكن أي واحد من هؤلاء من الذهاب إلى الكنيسة في الوقت المعين .

ولكن هذه الأسباب البسيطة سرعان ما تظهر فجأة تحت ضوء مختلف تماماً ففي الساعة السابعة وخمس وعشرين دقيقة ، وبعد خمس دقائق من موعد ابتداء تمرين الجوقة حدث انفجار الغاز في كنيسة بياترس مما سبب تدمير الكنيسة تدميراً كاملاً ، فهل كان تأخر الخمسة عشر شخصاً هو بسبب العناية الإلهية يا ترى؟ .

وهل أحس هؤلاء بشيء أم هي مجرد مصادفة . إنَّ هؤلاء لا يزالون أحياء .

وقد حسب (ويفر) أن الاحتمال ضد عشرةِ الأسبابِ للتأخر في تلك الليلة هي واحد إلى مليون وكانت المحاولة تجريبية لأن أعضاء جوقة المرتلين كانوا متأخرين بنسبة واحد إلى أربع مرات ولكن بما أن جميع أعضاء الجوقة متأخرون في نفس ذلك اليوم فإن إمكانية كل واحد منهم متأخراً هي نسبة (1 : 4)[10] .

التناغم الحياتي:

إن تناسق الخصائص الفاجعة المشؤومة وتناغمَها غالباً ما يعزى للنجوم وهذه بالتأكيد هي أبسط طريقة وأكثرها شعبية للتفسير وحتى هذا التاريخ فإن اثنَيْ عشر رجلاً قد قفزوا قفزات عملاقة نحو القمر إلا أن تأثير القمر على الأرض قد ترك دون اكتشاف وكذلك فإن حركة المد والجزر قضية مسلم بصحتها ولكن قلما نعرف شيئاً عن تأثير القمر على الحياة البشرية ، وإنَّ العلاقة المتبادلة بين نشاط الكلف الشمسي والمناخ قد تقرر ولكن علماء الحياة الروس فقط هم الذين ادعوا أن كلف الشمس يؤثر على انتشار الأمراض السارية أو المصائب أو الكوارث الطبيعية .

ولقد اكتشف عالمان روسيان الدورة الشمسية بتواتر أو تكرار قدره سبعة أو أحد عشر أو خمسة وثلاثون عاماً وفي تلك الدورات فإن العواصف المغناطيسية يمكن أن تهدم محطات كهربائية كاملة وقد أظهرت الأبحاث والاستقصاءات ازدياداً ملحوظاً في حوادث الاضطرابات العقلية وحوادث الطرق وحوادث الانتحار والموت

الطبيعي ففي 2 تشرين الأول عام 1970 ماتت ممثلة ألمانية شهيرة وزوجها الطبيب في حادث من حوادث الطرق في بافاريا وكان لموتها المأساوي أهميته إذ أنه في نفس ذلك اليوم (2) تشرين الأول كان هذان الزوجان في حالة من الركود الفيزيائي وهذا على الأقل هو رأي العلماء المتخصصين بالتناغم.

هذه التناغمات توصف بأنها عالية أو منخفضة وهي تظهر في أمزجة البيولوجي، إن التناغم البيولوجي نظرية قد كثر فيها الجدل وقد أنشأها (وليم فليس) وهو طبيب من برلين وهي مؤسسة على الفرضية التالية:

عند الولادة يبدأ تناغم الحياة البشرية وهو تناغم لقدرات المولود الفيزيائية والعاطفية أو (الروحية) والعقلية (أو الذهنية) وأن مقاييس هذه التناغمات توصف بأنها عالية أو منخفضة وهي تظهر في أمزجة الأفراد أو أدائهم للأعمال وإنَّ ما يعقِّد نظرية تناغم الحياة هذه أن كلاً من هذه التناغمات لها دورة زمنية مختلفة عن الأخرى فالدورة الفيزيائية تدوم نحو ثلاثة وعشرين يوماً والعاطفيَّة ثمانية وعشرين يوماً والعقلية حوالي ثلاثة وثلاثين يوماً.

وطبقاً لهذه النظرية فإن الناس يكونون في حالة جاهزة ومناسبة للعمل كل ثلاثة وعشرين يوماً ويكونون في حالة عاطفية جيدة كل ثمانية وعشرين يوماً وفي قمة الفاعلية العقلية كل ثلاثة وثلاثين يوماً وبنفس الوقت قدرة الدورة المنخفضة يجب أن يكون لها نتائج سيئة في الحضيض أو الدرك الأسفل في السلوك الفيزيائي أو النفسي أو الذهني. وبعد الحادث الذي تسبب بقتل الممثلة وزوجها الطبيب أخذ الباحثون في التناغم البيولوجي يقومون ببعض الحسابات المؤسسة على تاريخ الميلاد لكليهما ولقوس تناغم حياتهما وفي 2 تشرين 1907 وجدوا تأكيداً لنظريتهم فقد ثبت أن هذين الزوجين سعيا إلى حتفهما في يوم قد وصلا فيه إلى ذروة الدورة المنخفضة لحياتهما ـ هل كان ذلك على سبيل المصادفة؟.

لقد كثر الجدل حول نظرية التناغم هذه، فخصوم هذه النظرية لا يعتقدون بأن الدلائل الإيجابية أو السلبية هي نتائج للإيحاء الذاتي فيقولون: إنَّ أولئك الذين

يعلمون أنهم في حالة الحضيض العاطفي المزعوم سوف يشعرون بحالة من الكآبة في ذلك اليوم بينما أولئك الذين يعلمون متى ترتفع حالتهم النفسية تصبح جرأتهم عظيمة هذا بغض النظر عن تناغم الحياة بالنسبة لأولئك الذين لا يعلمون شيئاً عن نظرية التناغم الفيزيائي العتيدة. إن الوصول إلى الحضيض النفسي يعتبر السبب الرئيسي للعدد المثير للدهشة لحوادث الطائرات النفاثة المقاتلة الأميركية فقد بلغ عدد الحوادث خلال عام 1973 حوالي (156) حادثاً ولكن عندما درست حالات 23 طيّاراً من طياري هذه الطائرات من تاريخ الميلاد إلى يوم الحادث وجد أن ثلاثة عشر منهم قد وصلوا إلى حالة الانخفاض في التناغم الحياتي في اليوم السابق للحادث.

وقد بدأ اليابانيون يعيرون بعض الانتباه إلى نظرية التناغم البيولوجي فهناك (تايتو كوكوساي) صاحب أكبر مؤسسة لسيارات الأجرة في اليابان يكلف ثلاثة آلاف السائق الذين يستخدمهم بأن يكتبوا كل يوم قبل بداية العمل حالة تناغمهم الحياتية والمراسلون الخمسون الذين يشتغلون على الدراجات النارية في مصلحة التلفونات في يوكوهاما يضعون أعلاماً مثلثة الشكل صغيرة حمراء أو صفراء على مقود الدراجات النارية في أيام معينة ويعني العلم الأحمر: احذروا، السائق في حالة نفسية منخفضة، بينما العلم الأصفر يعني: انتبه، فالسائق يقترب من الحالة النفسية المنخفضة أو قد انتهى منها لتوه.

وقد بدأت سويسرا في تطبيق التجربة اليابانية واستعمالها، ففي زوريخ أخذت بعين الاعتبار قضية التناغم الحياتي لسائقي سيارات نادي سيارات الأجرة وذلك في تعيين الأعمال المنوطة بكل منهم وكنتيجة لهذا الإجراء فقد نقص عدد الحوادث بنسبة 30٪ وقد استطاع أحد مالكي سيارات الأجرة في بال (سويسرا) أن ينقص الحوادث بين سواقيه بنسبة 40٪ كنتيجة لملاحظة انحناءات التناغمات الحياتية بينهم، ويقدم جاك جوفنارد مدرب فريق الجمباز السويسري أبطاله الرياضيين للمباريات الدولية طبقاً لتناغماتهم الحياتية المواتية والمناسبة. وإذا كانت القسمة أو المقدور ليست مجرّد

حظ فإن الظواهر تصبح جميعها ليست ذات أهمية عندما تظهر مقدورات عدة أشخاص ليس لهم أي تماس أو ترابط شخصي، متصلة بأسلوب غريب مثير ولنأخذ كمثل على هذا العالم الفيزيائي الإيطالي الذي ركز على أعمال (بيير كوري) في إحدى محاضراته عن النشاط الإشعاعي وبينما كان هذا العالم يتكلم توفي بيير كوري في حادث سيارة وفي مناسبة أخرى كان نفس الأستاذ يحاضر طلابه عن نظرية الغازات التي ابتكرها العالم النمساوي (لودفيج بولتزمان) وفي أثناء تلك المحاضرة كان بولتزمان هذا قد أقدم على الانتحار. إنّ هذا يبدو أكثر من مصادفات فهي تثير أسئلة خطيرة حول دور المصادفات المجردة ـ هل هنالك روابط نفسية أو تخاطرية بين الناس المتشابهين في اهتمامهم وشعورهم ومشاكلهم وهل يمكن للعنة الفراعنة أيضاً أن لا تكون أكثر من نتيجة عملية تفكير من قبل بعض الأفراد متشابهي الشعور والاهتمامات أو نتيجة فشلِهم.

إننا جماعة من الناس المستنيرين الهادئين المفكرين الذين يعيشون في الثلث الثالث للقرن العشرين ولكننا يجب أن نقبل الحقيقة القائلة بأن الفرق بين الملاحظة الحسية والملاحظة الحسية الزائدة يكون صغيراً جداً حتى إننا لا نلاحظ الفرق أولاً ولا نفطن إليه إلا ونحن في غاية الدهشة والذهول عندما نقف أمام جدار مسدود.

حقاً إن علماء الفسيولوجيا يستطيعون أن يفسروا بعض الظواهر كظاهرة صيرورة بعض الأشخاص الهستيريين أحياناً في حالة صمم مع أنهم يستمرون في السماع بواسطة أطراف أصابع أيديهم أي كيف يستطيع هؤلاء الناس أن ينقلوا مقدرتهم على الملاحظة من حاسة إلى أخرى ولكن هؤلاء العلماء لا يستطيعون أن يجيبوا على السؤال الوارد وهو لماذا يصاب بعض الناس بالسرطان وبعض الناس لا يصابون؟

إن البليثيسموغراف هي آلة لجعل النشاط العقلي مرئياً (أي تصوير النشاط العقلي) وإنّ المبدأ الذي تشتغل به هذه الآلة بسيط جداً فهناك جهاز حساس يسجل الضغط في الأوعية الدموية الدماغية وحجم الدم فيها فالضغط وهجوم الدم يزدادان

عندما تبدأ عملية التفكير وهناك آلة للقياس تسجل هذه التغيرات بشكل يشبه عمل آلة تخطيط القلب.

ولقد فحص أحد العلماء التشيكيين واسمه (فيجار) شخصين متشابهين في البنية العقلية والجسمية وقد وضعهما في غرفتين منفصلتين ثمَّ ألصق آلة التصوير العقلي في رأس كل منهما ثم طلب من أحدهما أن يحل مسألة رياضية معقدة نوعاً ما وأما الآخر فلم يعرف شيئاً عن المسألة وبدأت كل من الآلتين في تسجيل النشاط العقلي لكلا الشخصين في نفس الوقت. ولكن حدث ما لا يصدق ـ ولا يمكن معرفة سببه علمياً ـ وهو أن الرسم البياني كان مشابهاً لكلا الشخصين مع أن أحدهما لم يكن يعرف أن الآخر كان يحل مسألة رياضية.

وهنالك تجربة بعض العلماء الروس الذين ذبحوا بعض الأرانب في غواصة وفي نفس الوقت قاسوا نشاطات الأدمغة لأمهات الأرانب المذبوحة التي كانت في مخبر على بعد مئات الأميال من الغواصة.

وفي اللحظة التي ماتت بها الأرانب الصغار سجلت الآلة الملصقة بالأرانب الأمهات تموجات حادة لنشاط الأدمغة فقد كانت الأمهات تخضع لنوع من المثيرات أو المنبهات الغامضة ولكن ما هي هذه المنبهات؟ هل هي إشعاع أم أمواج كهرطيسية أم أمواج؟.

وقد أظهر ليونيد وازيليو الباحث السوفييتي في علم النفس التخاطري ذلك باستعمال تجارب فيزيائية بسيطة لإثبات ما يرمي إليه وهو أن الظواهر الخارقة والمهارات ليست نتائج الأمواج أو التيارات أو الإشعاع فقد حبس الأشخاص الذين أجريت عليهم التجربة في غرف من الرصاص مجهزة بأبواب مكسوة بالقصدير وهي أفضل طريقة للحماية من الأمواج الكهراطيسية أو أمواج (جاما) أو الأمواج القصيرة جداً أو الأمواج الطويلة جداً، ولكن الأمواج الطويلة تتطلب مقداراً كبيراً من الطاقة لا يستطيع أي دماغ بشري أن ينتجها بينما الأمواج القصيرة جداً تسبب عطباً في

الدماغ، فالأمواج لا يمكن أن تكون مصدراً من مصادر النشاط الدماغي وذلك لأن التجارب التخاطرية مع الأشخاص الذين أجريت عليهم التجارب والذين كانوا محصورين في الغرفة الرصاصية. هذه التجارب نجحت فثبت أن الأمواج لا علاقة لها بالنشاط العقلي.

وأحد الأمثلة الكلاسيكية قضية (روزا سكودل) وهي إحدى الفلاحات النمسويات ففي ليلة 14 تشرين الثاني عام 1941 استيقظت روزا على صوت صرير صادر عن باب غرفة نومها فقد كانت الريح قد فتحت الباب بقوة ولكن حالما حاولت المرأة أن تنهض لكي تغلق الباب رأت رؤيا غريبة «خيل إلي أن في القاعة ثلجاً وأن تابوتاً موضوعاً في الثلج وأن ابني في التابوت».

عندها شعرت المرأة بالذعر وأيقظت زوجة ابنها وأخبرتها بما حدث وكانت الساعة حوالي الواحدة والنصف بعد منتصف الليل. وقد ظلت روزا سكودل تعيش لمدة ثلاثة أسابيع في إيمان راسخ واقتناع أن ابنها ليوبولد قد مات في روسيا وبعد ذلك تأكدت مخاوفها إذ وردت لها رسالة من الضابط المسؤول عن ابنها في سمولنسك تقول: إنَّ ابنها ليوبولد قد أصابته شظايا قنبلة في رأسه وبعد أن سحبه الأطباء إلى مكان أمين نوعاً ما أجبروا على ترك النقالة في الثلج وانطلقوا بسرعة فراراً من قذف القنابل المتكرر، وحالما فعلوا ذلك ندت من ليوبولد صرخة «أماه أماه» ثم مات وكان تاريخ الرسالة وزمن وفاة ليوبولد هو 14 تشرين الثاني عام 1941 في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.

كل شيء صافٍ في غرفة العمليات:

إن الحقيقة التي تقول: إنَّ هنالك اتصالاً بين الحيوانات والإنسان في حالات واقعة بين الخط الفاصل بين السوي وغير سوي، إنَّ هذه الحالات لا تناقض نظرية وجود مصدر مجهول لنقل الطاقة. وبالعكس إنها تحدد الفرضية بحيث تمنع وجود

الذكاء التقني كشرط أو متطلب لمثل هذا النقل والآن لنسمع لما قالته السيدة ايدالوني من كيبوزو في حوض الراين.

«عام 1944 اشتدت الغارات الجوية المركزة ضد ألمانيا وقد قاست مدينتنا الواقعة على الجانب الغربي لنهر الراين قرب أخن الكثير وكنا مجبرين على قضاء كل ليلة تقريباً في ملجأ الغارات الجوية، وقد زرت مريضاً في مستشفى المدينة وبعد ذلك تحدثت مع الممرضة (ارزولا) وهي راهبة هادئة كلها أمومة، قلت لها: إنَّ نقل المرضى الذين هم في حالة خطرة من غرفة العمليات إلى الملجأ في كل غارة جوية هو أمر فظيع، ولكن الأخت أزرولا أخبرتني أنَّها لا تنقل مرضاها دائماً إلى القبو في كل غارة، فقد كانت تعتمد على كلب صغير في بناية مجاورة كان ينبح نباحاً حاداً كلما كان هنالك خطر حقيقي يهدد المنطقة وكان ذلك الكلب لا يخطئ فهو يعرف دائماً إذا كانت قاذفات القنابل تمر حقيقة فوق المنطقة أو أنها ذاهبة إلى منطقة المرور.

وهكذا فإن هنالك ظروفاً صغيرة تؤثر في الحياة والموت فإذا كان موت الإنسان يقرر على يد عوامل غير منطقية ظاهرياً فقد آن الأوان للبحث عن هذه العوامل.

ففي تاريخ معين وفي ساعة معينة مثلاً لماذا نجد شخصاً عديم الانتباه لدرجة أنه يتعثر وهو ينزل من أعلى الدرج فتُدقُّ عنقه ويموت؟.

لماذا يصاب شخص أخر بنوبة قلبية في يوم معين وفي وقت معين؟. ويمكن للسؤال أن يقلب بشكل آخر. لماذا ينجو أحدهم من حادث طائرة بينما يموت كل الركاب الآخرين.

إن أسوأ كارثة طيران حدثت في ألمانيا في تاريخ الطيران المدني هي في كانون الأول 1972 عندما قتل 156 شخصاً في طائرة كانوا قد استأجروها من خط الطيران الإسبانيّ، وقد تحطمت حالاً بعد أن أقلعت من مطار تنيريف وقد أظهرت التحقيقات أن الحادث كان سببه الإخفاق البشري. لماذا أخفق الطيار وتخلف عن القيام بواجبه في ذلك الصباح بوجه خاص والأهم من ذلك لماذا رفضت زوجة أحد أصحاب

شركة من شركات الباصات في بافاريا ركوب تلك الطائرة قبل إقلاعها وصرخت صرخة هستيرية جعلت زوجها يعدل عن ركوب الطائرة ثم نزلا من الطائرة عندما كانت الطائرة على المدرج.

إن هذه الحادثة كما وصفها أحد العلماء هي مثال نموذجي من أمثلة الاستبصار الذي يمكن المرء من معرفة الأحداث قبل وقوعها، ولكن ليس لدى العلماء أي تفسير حقيقي لهذا الحدث. ولو عرفوا ذلك لكانت كوارث الطيران قد انتهت منذ عهد طويل.

لقد فقد عدد من الأطفال يبلغ (140) طفلاً والداتهم في قرية إكسبردج التي يبلغ عدد سكانها 1200 نسمة في 10 نيسان عام 1973 وذلك عندما اصطدمت طائرة تحمل 146 راكباً في قمة جبل مغطى بالثلج قرب مدينة (بال) وكان النادي النسائي المحلي قد نظم هذه الرحلة وكانت (ماريانا وارن) قد خططت للقيام برحلة هذه الطائرة أيضاً ولكنها رأت حلماً قبل بدء الرحلة ببضعة أيام وتقول السيدة «رأيت الطائرة تتجه نحو الأشجار وتصطدم بالأرض على الثلج وكانت جثث أصدقائي تتناثر حولي، وأخيراً وفي اللحظة الأخيرة بعت تذكرة سفري بنصف قيمتها: ثماني جنيهات».

إن الاحتمالات ضد حادث اصطدام الطائرة هو (330.000 : 1) وهذه هي حقيقة إحصائية. ومع ذلك فإن شركة الطيران الدولية كشفت النقاب عن أن (25) مسافراً قد ألغوا سفراتهم الجوية بسبب هواجس أو احساسات داخلية سابقة للخطر وأن الطائرات في ست من هذه الرحلات قد وقعت لها حوادث فعلية وتعتبر هذه احتمالات بنسبة 4 : 1 من الخطر. هل هنالك أشخاص يعرفون عن الخطر أكثر مني ومنك يا ترى؟.

التنبؤات بالموت:

إن مقدرة (جين دكسون) على التنبؤ بالمستقبل كانت عظيمة جداً حتى إن هذه المقدرة ذكرت في كتاب (موهبة التنبؤ) تأليف روث مونت غومري.

ففي عام 1952 تنبأت السيدة دكسون أن رجلاً أزرق العينين سوف ينتخب رئيساً للولايات المتحدة عام 1960 وسوف يموت ميتة عنيفة أثناء توليه منصب الرئاسة وفي يوم الجمعة 22 تشرين الثاني عام 1963 كانت السيدة دكسون تتناول طعام الغداء مع سيدتين أخريتين في مطعم في واشنطن.

«ـ ما الخبر؟» سألها أصدقاؤها عندما رأوا أنها لم تمس طعامها فقالت: «إنَّ شيئاً مخيفاً سوف يحدث لرئيس جمهوريتنا اليوم ولذلك فإني قلقة ولا أستطيع تناول أي لقمة». وبعد لحظات بدأت نشرات الأخبار في الراديو والتلفزيون تذيع نبأ إطلاق النار على جون كندي.

لم تتنبأ جين دكسون بموت كندي فقط ولكنها ذكرت الحرف الثاني من اسم قاتله. وهو حرف (س) في اسم أو سوالد.

ومهما يكن من إثارة في هذه القضية فلا شك أن السيدة ديكسون قامت بهذه التنبؤات سلفاً قبل أن تحدث وذلك لأن شهوداً مستقلين أيدوا كل ما ذكر وفوق ذلك فإن السيدة دكسون تنبأت بموت (داج همرشولد) بحادث الطائرة وهو الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة وكذلك بانتحار مارلين مونرو وموت المهاتما غاندي.

فالموت إذن ليس قضية مصادفة فحسب بل يمكن أن يتقرر سلفاً على يد نوع من الظروف التي يمكن لأشخاص موهوبين بصورة خاصة أن يحسوا بها أو يتفهموها. من الغرابة أن نرى مفهوم الشعور قد تخطى معناه الأصلي فقد أصبح يبتعد عن معنى اللمس أو الإحساس، وصار يعني تسجيل المادة أو النشاط وهذا يعني أبسط تفسير للهواجس أو الاحساسات الداخلية للسيدة ديكسون حول الموت (لاحظ أن هذا أبسط تفسير).

اعتقد الصينيون القدماء أن كل إنسان هو مولد للقدرة التي تنتج الطاقة والنشاط المعروفَيْن (بقوة الحياة) وهذه القوة الحيوية تستمر في الفضاء وكنتيجة لهذا فهنالك علاقات القرابة بين الفضاء والإنسانية، ويمكن أن نجد جُذوراً لهذه النظرية في

كل ثقافة من ثقافات العالم فالهندوس يسمون هذه الطاقة (برانا) ويقولون بأنه يمكن شحن هذه الطاقات بتنفس الأوكسجين وهذا يشبه التأين[1]. ومن هذا نرى أن التنفس يلعب دوراً هاماً في (اليوغا).

لم تتطور نظرية (الطاقة الحيوية) هذه حتى القرن السادس عشر وقد أعطاها العالم (باراسيلوس) شرف القدرة على جعل الإنسان يعيش أو يموت.

وادعى أيضاً أنه من الممكن لهذه الطاقة أن تنتقل من شخص لآخر وقد سمَّى هذه الطاقة (مونس) وبعد قرن من الزمان اقترح جان هليمونت وهو طبيب كيماوي من بروكسل أن هذه الطاقة الحيوية يمكن أن تؤثر على إرادة شخص آخر في مكان آخر وهذا ما جعل هليمونت يقف على عتبة علم (التخاطر).

وبعد ذلك ظهر طبيب ألماني يدعى (فرانك مزمير) (1734 ـ 1815) درس بعض المظاهر الفيزيائية وكان يدعوها المغناطيسية الحيوانية واعتقد بهذه المظاهر حتى إنَّه أصبح يصف التداوي بالمغناطيسية لمرضاه لإرجاع متطلبات الطاقة في المريض إلى توازنها الطبيعي وقد اقتنع الدكتور مزمير هذا أن القوى المغناطيسية الكونية في الإنسان يمكن أن يكون لها تأثير شفائي على المرض فيما إذا وضع الطبيب يده على المريض مثلاً فالمرض حسب رأي الدكتور مزمير هو تعطل أو خلل في الدورة المنسجمة للقوى الكهراطيسية في كياننا بينما الشفاء هو استعادة هذا التناسق والانسجام الذي يتأثر بدوره بتطبيق الإشعاع المغناطيسي.

لقد ظهر اسم (الطاقة البيولوجية) تحت عدة أصناف من الأسماء مثل القوة الطبيعية أو أشعة (ن) أو القوة الأثيرية وأما العلماء المحدثون فيصفونها أنها الطاقة الجسدية النفسية ولكن هذا البحث يعتبر فتحاً جديداً في عالم العلوم وقد بحث كارل فون ريشينباخ وهو أحد الكيماويين الألمان فيما يدعى (حركة الهواء عند نقطة مكهربة) أو مجال الإشعاع البشري في منتصف القرن التاسع عشر بينما كان (مزمير)

(1) التأين: هو ازدياد سرعة الإلكترون وانسلاخه عن مداره بسبب تسريعه من قبل جهاز تسريع خاص.

يعتقد أن المغناطيسية الحيوانية عبارة عن سائل واعتقد ريشينباخ أيضاً أن جسم الإنسان يفرز نوعين من مواد صبغية سماها (أود) وطبقاً لأنصار هذه النظرية فإن الطاقة العصبية كانت فيزيائية بشكل يمكن به أن تفرز في الماء ويصبح لها طعم لابأس به. ويقال أن (كلارفويانتش) وبعض الأشخاص الحساسين الآخرين كانوا يلاحظون هذه الظاهرة بأم أعينهم كنوع من الضوء.

ولسوء الحظ فإن المتحمسين للشؤون الغامضة والخفايا كانوا سريعين في إساءة استعمال أي مكتشفات جديدة حتى إنَّ العلماء كانوا قليلي التحمس لعمل أي أبحاث جديدة ومع أن رجلاً يدعى (هيدويلر) قد قاس المجال المغناطيسي حول الكائنات البشرية في عام 1902 إلا أنه مرت ست وعشرون سنةً قبل أن تستأنف أبحاثة هذه من قبل عالمين آخرين وهذان العالمان قاما بتجاربهما في داخل (قفص فارادي) وبرهنا بمساعدة الكالفانوميتر على وجود مجالات للتوتر في داخل جسم الإنسان تتغير شدتها طبقاً لرد فعل العضلات.

وفي وقت لاحق درس الدكتور (وست) إشعاع الأجسام وبما أن الخشب هو مادة غير مشعة لذلك أجريت التجارب على طاولات خشبية.

وقد أظهرت هذه التجارب أن المواد المشعة (مثل الأحجار والمعادن والسوائل) يمكن أن تقاس حتى بعد أن تزال خواصها الإشعاعية لغرض التجارب.

وهنالك فكرة يعوزها البرهان العلمي وهي فكرة وجود مناطق الحوافز والمنبهات المؤسسة على الإشعاع الأرضي ونظراً لأن أول من أوجد هذه النظرية كانوا من الباحثين العاديين فلم يعترف بها من قبل العلماء المتزمتين مع أن التجارب على الحيوانات والنباتات قد أنتجت براهين ساطعة على قيمة هذه التجارب وحتى بين الكائنات البشرية وجدت دلائل تثبت هذه المناطق الجغرافية إذ يمكننا أن نتتبع شفاء بعض حالات الأرق المزمنة وذلك بنقل الفراش من مكان لآخر.

الموت عند الكيلومتر 23.9:

أظهر العالم (سوير برشن) أنَّ التوتر الجسماني يعتمد على ظروف الطاقة الفيزيائية، ويعالج كتاب (جذور الإدراك الحسي) تأليف كارل جاكيل هذه الظاهرة، وهو يعطي تقريراً عن تجربة ممتعة، أجراها مع شخصين آخرين أحدهما (هانس دانر). هنالك بعض الشوارع في ألمانيا تدعى (شوارع الموت) تحدث فيها عدة حوادث مميتة دون أي سبب ظاهر فمنذ عام 1932 حدثت المئات من الحوادث في امتداد مستقيم للطريق قرب (بريمن) عند علامة الكيلومتر 9 . 23، وعند ذلك أخذ (هانس دانر) ومعه باحثان آخران بعبور الطريق المحاطة بنطاق من الجند والشرطة في إحدى الليالي ولم يكن (دانر) يعرف الطريق وكانت العلامات مغطاة بالأكياس ولكن (دانر) اكتشف مصدراً من الإشعاع الأرضي مسبِّباً للتمزق وحيث استطاع (دانر) أن يجد مكان الإشعاع المسبب للتمزق وجد أن هنالك علامة مكتوب عليها الرقم (9 . 23).

التجارب في الأهرامات:

إذا كان الإشعاع الأرضي والجسماني والمادي عبارة عن طاقات فمن الممكن زيادة هذه الطاقات، وفي الحقيقة هنالك تجارب تدل على أن بعض الأجسام الهندسية يمكنها أن تجمع الطاقة ثم تطلقها بشكل مركز، وقد تركز الاهتمام بالنسبة لهذه القضية في الأهرامات المصرية.

أقفل المستكشف الانكليزي (بول برانتون) على نفسه في هرم خوفو الحجرة الملكية لليلة واحدة وفي نهاية الليلة شعر كأنه فقد عقله، وقد عانى وعياً منفصماً حافلاً بذكرياته عن تلك التجارب، وكانت أحلامه في تلك الليلة تدور حول موته وأصبح فاتر الشعور تماماً بعد أن خرج من تلك الغرفة في الصباح التالي.

وفي عام 1959 حصل (كارل دربل) المهندس الشعاعي في براغ على ترخيص باستئجار هرم صغير وقد كان (دربل) قد لاحظ بعض التجارب التي أجراها عالم الأشعة الفرنسي (مارشال) عن العلاقة بين شكل الهرم والعمليات الفيزيائية التي

تجري داخله. وقد جرب مارشال أولاً نماذج من الأهرامات حيث لاحظ ردود الفعل للمواد العضوية في داخلها لعدة أيام متعاقبة وكان استنتاجه كما يلي:

إن الأهرامات تسرع في عملية التحنيط والتجفيف، مثلاً إنَّ السمكةَ الموضوعة داخل نموذج هرمي خسرت ثلثي وزنها خلال ثلاثة عشر يوماً وقد تقلص جهاز التنفس في خروف إلى النصف في مدة ستة أيام وفي مدة ثلاثة وأربعين يوماً جفت بيضة فأصبح وزنها اثني عشر غراماً بعد أن كان اثنين وخمسين. وحتى السمكة لم يتغير شكلها ولا رائحتها.

وقد اعتمد (دربل) في عمله على التجارب السابقة المذكورة واستعمل التأثير الفيزيائي لشكل الهرم في الكشف عن التأثير في عملية سن موسى الحلاقة فبنى نموذجاً لهرم من الكرتون له قاعدة طولها 23 سنتيمتراً وعلوه15 سنتيمتراً وقد بقيت أرضية الهرم مفتوحة ثم بدأ بالتجربة التالية: وضعت شفرة حلاقة مثلمة (أي غير حادة) على قاعدة من الخشب أو الكرتون بعلو 5 سم ثم وضع الهرم فوق تلك القاعدة معرضاً لحرارة الشمس في النهار والأهم كان تخطيط وضع الشفرة ووضع الهرم الدقيق على المحور الممتد شمالاً ـ جنوباً بحيث كان الطرف الحاد من الموسى بشكل متصالب مع المحور الشرقي ـ الغربي وقد دامت عملية السن حوالي ستة أيام.

وهذان المثلان عن هندسة الأهرامات أخذت من الفيزياء التجريبية وهي تثير السؤال التالي: هل عرف المصريون القدماء أو على الأقل المثقفون منهم شيئاً حول تطبيقات الطاقة، هذه التطبيقات التي لم يستطع العلم الحديث أن يعيد اكتشافها بعد؟ هل يمكن لبعض الأشكال الهندسية أن تحشد بعض القوى النفسية القادرة على التسبب في الموت؟ وإذا كان الأمر كذلك هل هي تقدم قاعدة أو أساساً لحل اللغز الكامن وراء لعنة الفراعنة.

لقد مات ثلاثة عشر شخصاً من الذين حضروا فتح مقبرة توت عنخ أمون بشكل غامض فيما بعد ولم يكن موتهم مسبباً عن فعاليات سيئة معينة ففي المعدل الوسطي تعيش الذبابة حوالي 75 يوماً وملكة النحل تعيش خمس سنوات والقطة

تعيش خمس سنوات والحصان أربعين عاماً والفيل يمكن أن يعيش إلى الخمسين أما التمساح فيعيش مئة عام والحوت ثلاثمائة عام ولكن قليلاً من الكائنات الإنسانية تعيش أكثر من مئة عام ولكن على العموم قلما يصل الرجال إلى السبعين من العمر.

وعندما اكتشف قبر توت عنخ أمون كان عشرة من خمسة عشر شخصاً في أوربا يعمرون حتى الخامسة والخمسين ولكن عشرة من ثلاثة وعشرين شخصاً ممن اشتركوا في التنقيب عن القبر قد عاشوا حتى ذلك العمر.

أسرار العلوم:

من الصعب أن نصدق أن المدنيات القديمة كالمدنيَّة المصرية كانت تعرف الكثير عن العلوم الحديثة، وبالرغم من اكتشافاتهم الثورية فإن المصريين القدماء لم يسمحوا إلا للقلائل المختارين بالمساهمة في المعارف التي اكتشفوها، وأما عامة الشعب فالعلم بالنسبة إليهم كان مغلفاً ضمن أسوار من الكتمان والسرية كما كان الرجال الذين يمارسونه.

فما أصبحت الأقلية من الطبقة العليا تعرفه كحقائق كان بالنسبة لبقية الشعب من عمل الآلهة أو المعجزات أو السحر، وهذا ما يفسر سبب نقل العلماء المصريين ثمرات إنتاجهم معهم إلى قبورهم. فالمعرفة بالاختصار كانت مخصصة لإنجاز عمل معين أو وظيفة معينة لوقت محدد، وبعد ذلك تختفي من ضمير الشعب ربما ألف سنة أو ربما لأكثر من ذلك وإلى الأبد، ولكن البينات الأخيرة التي ظهرت عن هذا العصر كانت هامة جداً مما حرض الرجال العقلاء والمشهورين على شد الرحال إلى أرض وادي النيل لكي يكملوا ثقافتهم. ومن بين أولئك الذين قيل بأنهم قاموا بمثل هذه الرحلات هوميروس، واورفيوس، ويوروبيدوس ومن رجال السياسية ليكورغوس، وصولون، ومن الفلاسفة تاليس وأفلاطون، ومن الرياضيين يودوكسوس، وأرخميدس، وحتى إذا لم يكن من السهل البرهنة على أن هذه

الرحلات قد حدثت فعلاً فإن مجرد فرض أن هؤلاء قد سافروا إلى مصر هو برهان ساطع على الأهمية التي كانت الثقافة المصرية القديمة تتمتع بها.

ولقد بلغ من أفلاطون أَنْ دعا شعبه اليونان أطفالاً بالنسبة للمصريين، ففي كتابه (تيماكوس) يجعل أفلاطون كاهناً مصرياً من (سايس) يقول لصولون:

«يا صولون. أنتم اليونانيين كنتم وما تزالون أطفالاً فليس هنالك أي شخص عاقل بينكم فأنتم لا تملكون أي تقاليد وإنَّ أساطيركم عن ديكاليون وفيتون هي نتف صغيرة من تلك التي أتْلَفَتها النار والطوفان.

وإن مثل تلك الكوارث قد أثرت على الإنسانية من وقت لآخر وأفنت أمماً بكاملها ومعها كل ما سجلته من منجزات علمية ولكن النيل قد حفظ أمتنا من مثل هذه الكوارث وهذا ما جعلنا قادرين أن نحتفظ في معابدنا بالشهادة التاريخية عن ماضينا الخالد بينما عليكم أن تبدؤوا تاريخكم دائماً من جديد ولا تعرفون أبداً ما حدث في بلادكم فكيف بالبلدان الأخرى؟».